حقى بمعدنه المفطور وطابعه المتميز وشخصيته المتصلة ، وما كان له أن يتحول عن ذلك وهو الذى يصارحنا فى مقدمة كتابه أنه لم يخرج عن دائرة النقد التأثرى أى النقد القائم على الحساسية الجمالية فى اللغة قبل كل شىء ، بحيث لا ينبغى أن ننسى قط أنه رجل ديبلوماسى عريق عندما يقول فى نفس المقدمة «قد ألوم نفسى أو استسخفها أن بدر منى من قبل كلام الآن ، أود ألا يكون قد خطه قلمى بجهل واندفاع وخطل رأى . أننى نادم الآن ومستغفر لربى على اشتطاطى فى القسوة على بعض من تناولتهم بالنقد وعلى أسلوب وخز الإبر الذى دلس نفسه على بأنه دعابة مقبولة لا سخرية مرذولة .

«وماذا كنت أفعل وأنا وريث دواوين شعر نصفها «قال يمدح» ونصفها «قال يهجو» . . وأننى نشأت ومعارك النقد لا تترفع عن حدة الفظ والتجريح ، ولكنى مع ذلك ألحظ بشىء من الرضا اعتدال اللهجة حين تقدم العمر ، لذلك ألتمس أن يصفح عنى كل من غضب منى ، وله الحق ، وتأكيدًا للتوبة نشرت فى الكتاب ردود بعض من لحقهم بسببى وعلى غير إرادة منى انقباض وتعكير المزاج» .

يحيى حقى ناقداً

يختتم يحيى حقى مقدمة كتابه بأسلوبه الديبلوماسى المعهود قائلا : «لا أنكر أننى لم أخرج عن دائرة النقد التأثرى ، فليس فى كلامى ذكر للمذاهب ، ولعل السبب أننى لم ألتحق بكلية آداب فى إحدى الجامعات . . لم أدرس النقد دراسة منهجية تاريخية ولا يسعدنى شىء مثل أن يفسح هذا الكتاب مجال القول فى قيمة